دخول قراءة الإمام نافع إفريقيّة

د. الهادي محمّد روشو/جامعة الزّيتونة/مدير المعهد الأعلى للشّريعة بتونس

مقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد، فإنّ الله تعالى قد أنزل كتابه العزيز على قلب رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- بواسطة الأمين جبريل عليه السّلام فقال تعالى:﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ الشّعراء: 192-195. فكان النّبيّ الأمّيّ عليه أتمّ الصّلاة وأزكى التّسليم يحفظه، ويبلّغه حال تنزّله عليه، بل يأمر بكتابته زيادة في التّوثيق. فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والتّرمذيّ والنّسائيّ وابن حبّان والحاكم عن ابن عبّاس عن عثمان قال: كان رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- تنزل عليه السّور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشّيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السّورة الّتي يُذكر فيها كذا وكذا"[1].

لقد كانت تلك الكتابة مجرّد زيادة في توثيق النّصّ القرآنيّ، أمّا العرب وقت تنزّل القرآن فلم يكونوا بحاجة إلى كتابة، إذ الفطرة سليمة، ومتطلّبات الحياة بسيطة، وخبرتهم بلغتهم تفوق كلّ تصوّر، حتّى كانوا يحفظون القصيد الطّويل من سماع واحد ومن سماعين اثنين، فما بالك بحفظ القرآن الكريم الّذي أعجز الفصحاء وأسكت البلغاء.

لقد وصف الله تعالى هذا القرآن الكريم بأنّه محفوظ في صدور الّذين أوتوا العلم فقال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ العنكبوت: 49، لذلك كان النّبيّ الكريم -صلّى الله عليه وسلّم- يعلّم أصحابه القرآن الكريم، ويأمرهم بتعليمه للنّاس، فكان يقول: "بلّغوا عنّي ولو آية"[2]، ويبيّن لهم أنّهم إن فعلوا ذلك كانوا أفضل النّاس، فقال: "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه"[3]، فكان الصّحابة الكرام -رضي الله تعالى عنهم- يتسابقون في تعلّم القرآن الكريم وتعليمه لغيرهم، بدءا بأبنائهم وأقاربهم، وصولا إلى أبعد

1) السّيوطيّ: الإتقان في علوم القرآن، 1/ 323.

2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، الحديث رقم 3274.

3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، الحديث رقم 4739.

ما يصل إليه سمعهم من أبناء آدم على وجه البسيطة. فخرجت بجحافلهم تنشر راية التّوحيد، وتعلّم كتاب الله تعالى لما فيه من خير وصلاح لكلّ صنف من أصناف البشر، كان لإفريقيّة منهم نصيب وافر.

ولقد عرفت إفريقيّة - وعاصمتها القيروان- أجيالا متعاقبة من قرّاء كتاب الله المبين، منذ جيل الصّحابة إلى وقتنا الحاضر، واشتهرت فيها قراءة نافع بن عبد الرّحمن المدنيّ، حتّى لم يعد يعرف أهلها في بعض الحقبات التّاريخيّة سواها، فكيف دخلت قراءة نافع إلى القيروان؟ من كان أوّل من أتى بها؟ ومن أين جاء بها؟ ومتى كان ذلك تحديدا؟ هل صحيح أنّ ابن خيرون الأندلسيّ المتوفّى في القرن الرّابع الهجريّ هو الّذي كان وراء ذلك كما ذكر الذّهبيّ في معرفة القرّاء الكبار؟ هل يمكن أن نسلّم بكلام الذّهبيّ إذا وجدنا نصوصا صحيحة تثبت وجود هذه القراءة في القيروان قبل ابن خيرون؟ وكيف يمكن أن نوفّق بين تلك المعطيات التّاريخيّة الّتي تبدو متعارضة متناقضة؟

1 - **معنى القرّاء:** أعني بالقرّاء من اشتهر بالقرآن قراءةً أو إقراءً. والقارئ **لغة** اسم فاعل من قرأ، فكلّ من قرأ شيئا سمّي قارئا. قال تعالى: "اقرأ كتابك" (الإسراء: 14)، ومنها قوله صلّى الله عليه وسلّم في قصّة بدء الوحي: ما أنا بقارئ. ومنه قوله عليه الصّلاة والسّلام في الحديث الصّحيح المشهور: "بل أردتَ أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك"[1]. القارئ **اصطلاحا:** جرت العادة في لسان أهل القراءات بأن يطلقوا أحيانا عبارة قارئ ويريدوا بها المعنى اللّغويّ كقول ابن خاقان في رائيّته المشهورة في التّجويد[2]:

أيا قارئ القرآن أحسن أداءه   يضاعف لك الله الجزيل من الأجرِ[3].

كما أنّنا نجدهم أحيانا أخرى يطلقون لفظة قارئ على قسم من ناقل الإسناد، فإن كان الأمر متعلّقا بأحد الأئمّة السّبعة البدور أو الثّلاثة المتمّمين للعشرة، فهذا يسمّونه قارئا، أمّا إذا تعلّق الأمر بمن قرأ على الإمام البدر القارئ أحد العشرة فهذا لا يسمّونه قارئا، بل يسمّونه راويا. ويطلقون على من قرأ على الرّاوي "صاحب طريق"، ويعبّرون عن ذلك

1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرّياء والسّمعة، الحديث: 152، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، 3/ 1513.

2) هو موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو مزاحم الخاقاني (ت 325 هـ)، وهو من أوّل من صنّف في التّجويد، وقصيدته شرحها أبو عمرو الدّاني وغيره.

3) الجرمي (إبراهيم): معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، الطّبعة الأولى، 1422هـ/ 2001م، 157 - 158.

بعدّة طرق، فيقولون مثلا: قراءة نافع من رواية قالون من طريق أبي نشيط، أو يبدؤون بأبي نشيط عن قالون عن نافع، وقد يقولون: رواية قالون عن القارئ نافع من طريق أبي نشيط... والمقرئ هو ما يتبادر إلى الذّهن من معناها اللّغويّ، ولكن محصورا في كتاب الله تعالى، أي أنّ المقرئ هو كلّ من أقرأ غيرهُ كتاب الله تعالى، سواء اشتغل بذلك، أو قام به تطوّعا لوجه الله تعالى. ولا أقصد بالقارئ المعنى الاصطلاحي أي أحد البدور العشرة، بل سأسير على المعنى الثّاني عند أهل القراءات، أعني المعنى اللّغويّ، فالقارئ هو كلّ من عرف بقراءة القرآن الكريم بين النّاس، سواء أكان إماما شدّ النّاس بحسن صوته، أو علّم القرآن للنّاس، أو أقرأهم بأيّ رواية من الرّوايات.

2 - الصّحابة القرّاء الّذين دخلوا إفريقيّة:

أ - بشير بن عبد المنذر الأوسيّ، أبو لبابة الأنصاريّ، أحد الصّحابة الّذين أنزل الله تعالى فيهم قرآنا يُتلى إلى آخر الزّمان. دخل إفريقيّة، وأشير إليه بالبَنان. من أشهر أحاديثه عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه قال: "ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن"[1].

والمتواتر لدينا أنّه دخل إفريقيّة وأنّه قد توفّي بها، وضريحه معروف إلى اليوم بقابس، وكذلك مسجده. غير أنّ ابن حبّان ذكر أنّه توفّي بالمدينة المنوّرة[2] خلافا للدّبّاغ ومخلوف وأبي المطرّف المخزوميّ، الّذين أجمعوا على أنّه سكن قابس فترة من الزّمن، وتولّى قضاءها، بعد انتقاله من الأندلس إلى إفريقيّة. وقد اختلف في تاريخ موته، فقيل: مات في خلافة عليّ. وقال خليفة بن خيّاط: مات بعد مقتل عثمان. وقيل: عاش بعد عام 50هـ/ 670م[3].

ب - الحسن بن عليّ بن أبي طالب، أبو محمّد، سبط رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-. كان حافظا لكتاب الله تعالى، محفّظا له، عاملا به، قدم إلى إفريقيّة سنة سبع وعشرين في

1) أبو داود: السّنن: 2/74ـ75، الحديث 1471، والبيهقيّ: السّنن الكبرى: 2/54، وله شواهد كثيرة صحيحة عن أبي هريرة وغيره في الصّحيحين.

2) ابن حبّان: مشاهير علماء الأمصار، ص37.

3) ابن قانع: معجم الصّحابة، 1/98، ابن عبد البرّ: الاستيعاب، 4/167، ابن الأثير: أسد الغابة، 1/195، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 1/12، التّجانيّ: رحلة التّجاني، 90، المزّيّ: تهذيب الكمال، 3/1641، ابن حجر: الإصابة، 4/168، وتقريب التّهذيب، 2/467، وتهذيب التّهذيب، 12/214، مخلوف: شجرة النّور الزّكيّة، 1/45...

غزوة ابن أبي سرح[1]. توفّي حوالي سنة 50هـ/ 670م.

ت - الحسين بن عليّ بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وريحانته وشبهه من صدره إلى قدميه، أصغر من أخيه الحسن بسنة واحدة. أخرج الخطيب في تاريخ بغداد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: "من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني"[2]. حفظ القرآن الكريم، وأكثر من تلاوته وتجويده، وروى الحديث عن أبيه وأمّه وخاله هند بن أبي هالة وعن عمر، وروى عنه أخوه الحسن، وبنوه عليّ زين العابدين، وفاطمة، وسكينة.. وفد على القيروان في غزوة العبادلة. وقتل في موقعة كربلاء من أرض العراق في يوم عاشوراء سنة 61هـ/ 680م.

ث - سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة القرشيّ. كان من أشراف قريش وأجوادهم وفصحائهم. وصف بأنّه كان أشبه النّاس لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلّم. هو أحد الّذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان. اعتزل الفتنة بين الصّحابة. وقدم إلى القيروان في جحافل الصّحابة والتّابعين. توفّي بالمدينة المنوّرة سنة 59هـ أو 58هـ/ 679م أو 678م[3].

ج - هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، يُعرف بأبي جعفر. له صحبة. أمّه أسماء بنت عميس الخثعميّة أخت ميمونة بنت الحارث لأمّها. ولد بأرض الحبشة. قدم مع أبيه المدينة. وهو أخو محمّد بن أبي بكر الصّدّيق، ويحيى بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم لأمّهما، وتزوّج من زينب بنت عليّ بن أبي طالب، شقيقة الحسن والحسين. كان متقنا لقراءة القرآن الكريم، حافظا له، كريما جوادا، ظريفا خليقا، عفيفا سخيّا، يسمّى بحر الجود وقطب السّخاء. دخل إفريقيّة في غزوة العبادلة سنة سبع وعشرين للهجرة. توفّي سنة

1) ابن عبد البرّ: الاستيعاب، 328/1، ابن الأثير: أسد الغابة، 9/2، ابن عذاري: البيان المغرب، 9/1، ابن حجر: الإصابة، 328/1، السّلاويّ: الاستقصاء، 85/1.

2) الخطيب: تاريخ بغداد، 141/1.

3) ابن سعد: الطّبقات، 30/5، ابن أبي حاتم: الجرح والتّعديل، 48/4، ابن حبّان: كتاب الثّقات، 276/4، ومشاهير علماء الأمصار، 109، ابن عبد البرّ: الاستيعاب، 9ـ8/2، ابن عساكر: تاريخ دمشق 107/21، ابن الأثير: أسد الغابة، 481/2، النّووي: تهذيب الأسماء 218/1، المزّيّ: تهذيب الكمال 501/10، ابن حجر: الإصابة، 47ـ46/2، وتهذيب التّهذيب 48/4، مخلوف: شجرة النّور الزّكيّة 98/2..

84هـ/ 703م.[1]

ح - هو عبد الله بن الزّبير بن العوّام بن خويلد القرشيّ الأسديّ. أمّه أسماء بنت أبي بكر الصّدّيق. حفظ القرآن الكريم، وكان أحد أعضاء لجنة كتابة المصحف العثمانيّ. كما حفظ شيئا كثيرا من الحديث عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهو صغير. وهو أحد العبادلة، وأحد الشّجعان من الصّحابة. غزا إفريقيّة مرّتين، الأولى مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج، وشهد فتح جلولاء مع عبد الله بن عمر بن الخطّاب. توفّي سنة 73هـ/ 692م[2].

خ - عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب، حبر الأمّة، وترجمان القرآن، كان له مصحف خاصّ يقرأ منه، اتّبع فيه قراءة زيد بن ثابت، ما عدا ثمانية عشر حرفا اتّبع فيها قراءة ابن مسعود[3]. توفّي بالطّائف سنة 68هـ/ 688م للهجرة[4].

د - عبد الله بن عمر بن الخطّاب، أبو عبد الرّحمن القرشيّ العدويّ. شهد فتح مصر، ثمّ غزا إفريقيّة مرّتين: الأولى مع ابن أبي سرح، والثّانية مع معاوية بن حديج. كان شديد التّمسّك بكتاب الله تعالى، مداوم على قراءته وتعليمه، كثير الولع بسنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-. قدم إلى القيروان، فعمل على نشر القرآن والسّنّة، وتتلمذ عليه ميسرة الزّروديّ القيروانيّ وخالد بن أبي عمران التّونسيّ... وأفتى في الإسلام ستّين سنة. توفّي سنة 73هـ أو 74هـ/ 692م أو 694م[5].

ذ - عبد الله بن عمرو بن العاص القرشيّ. أسلم قبل أبيه، وكان فاضلا، عالما. كان محبّا للقرآن الكريم، مولعا بقراءته، حتّى أنّه كان يصوم النّهار ويقوم به في اللّيل، وبلغ ذلك

1) ابن عساكر: تاريخ دمشق، 248/27، المزّيّ: تهذيب الكمال، 367/14، الذّهبي: سير أعلام النّبلاء، 456/3، ابن حجر: الإصابة، 280/2، وتقريب التّهذيب، 406/1، مخلوف: شجرة النّور الزّكيّة، 93/2..

2) البخاريّ: التّاريخ الكبير، 6/5، أبو العرب: الطّبقات، 74ـ75، ابن حبّان: الثّقات، 212/3، ومشاهير علماء الأمصار، 55، ابن عبد البرّ: الاستيعاب، 291/2، المالكيّ: رياض النّفوس، 63/1، ابن عساكر: تاريخ دمشق، 140/28، النّوويّ: تهذيب الأسماء واللّغات، 374/1، المزّيّ: تهذيب الكمال، 508/14، الذّهبيّ: سير أعلام النّبلاء، 363/3، ابن حجر: الإصابة، 301/2، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 112/1..

3) ابن الجزريّ: غاية النّهاية، 1/ 426.

4) ابن عبد البرّ: الاستيعاب، 138/4، ابن حجر: الإصابة، 322/2، والمالكيّ: رياض النّفوس، 60/1ـ66، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 107/1، أبو العرب القيروانيّ: طبقات علماء إفريقيّة وتونس، ص 17، السّلاوي: الاستقصاء، 86/1.

5) ابن حجر: الإصابة، 338/2، ابن عبد البرّ: الاستيعاب، 333/2، المالكيّ: رياض النّفوس، 60/1، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 79/1، أبو العرب: الطّبقات، ص73، السّلاويّ: الاستقصاء، 87/1...

للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فقال له: اقرإ القرآن فى كلّ شهر[1]. اختلف في تاريخ وفاته، والرّاجح منها أنّه توفّي سنة 63هـ/ 683م[2].

ر - عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرّحمن الهذليّ. وأمّه هي أمّ عبد الله بنت ودّ بن سواءة، صحابيّة جليلة. كان من أكابر الصّحابة فضلا وعقلا وقربا من الرّسول -صلّى الله عليه وسلم-، ومن السّابقين إلى الإسلام، وأوّل من جهر بقراءة القرآن بمكّة.

3 - **من التّابعين القرّاء الّذين دخلوا إفريقيّة:**

أ - إسماعيل بن عبيد، وقيل في اسم والده أيضا "عبد الله"، وهو مولى الأنصار. بنى مسجد الزّيتونة خارج سور القيروان سنة إحدى وتسعين، ويبدو أنّه انتهى من بنائه سنة ثلاث وتسعين[3]، وعمل فيه على نشر القرآن الكريم، وكان مصحفه لا يفارقه. توفّي -رحمة الله عليه- في غزوة عطاء بن رافع في البحر سنة سبع ومائة حسب المالكيّ والدّبّاغ، وهو متقلّد المصحف، وختم الله عمله بالشّهادة[4].

ب - إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، أبو عبد الحميد القرشيّ المخزوميّ الدّمشقيّ. ومن تلاميذه القيروانيّين: زياد بن أنعم، وابنه عبد الرّحمن بن زياد بن أنعم. أرسله عمر بن عبد العزيز سنة تسع وتسعين إلى إفريقيّة، على رأس عشرة من خيار علماء المسلمين، كي يعلّموا البربر القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة واللّغة العربيّة، فاتّخذ كلّ واحد منهم دارا لسكناه، ومسجدا للعبادة، وكتّابا للتّعليم. توفّي سنة 131هـ، وقيل سنة 132هـ/ 749م أو 750م[5].

ت - بكر بن سوادة بن ثمامة، أبو ثمامة الجذاميّ المصريّ. كان ثقة، صالحا، جليلا، فقيها، مفتيا، مقرئا، صاحب حديث. سكن القيروان أكثر من ثلاثين سنة. توفّي - على الأشهر

1) مسلم: المسند الصّحيح، كتاب الصّوم، الحديث رقم 2787.
2) أبو العرب: الطّبقات، ص73، ابن عبد البرّ: الاستيعاب، 338/2، المالكيّ: رياض النّفوس، 15/1، ابن الأثير: أسد الغابة، 233/3، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 116/1، ابن حجر: الإصابة، 343/3، السّلاويّ: الاستقصاء، 87/1..
3) المالكي: رياض النّفوس، 107/1، والدّبّاغ: معالم الإيمان، 176/1.
4) أبو العرب: الطّبقات، 84-85، المالكيّ: رياض النّفوس، 106/1، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 176/1، ابن حبّان: الثّقات، 20/4، شوّاط: مدرسة الحديث في القيروان، 523/2.
5) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، 37/2، المالكيّ: رياض النّفوس، 115/1، ابن عذاري: البيان المغرب، 48/1، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 184/1، المزّيّ: (يوسف): تهذيب الكمال، 143/3، والذّهبيّ: سير أعلام النّبلاء، 213/5، وابن حجر: تهذيب التّهذيب، 277/1...

- بالقيروان، سنة 128هـ/ 745م[1].

ث - تبيع بن عامر الحميريّ الكلاعيّ الحمصيّ، ابن امرأة كعب الأحبار[2] قال ابن عساكر: "قرأ القرآن على مجاهد بأرواد ـ جزيرة في البحر قريبة من القسطنطينيّة ـ وكانا غازيين بها"[3]. قال ابن يونس في تاريخ مصر: "توفّي بالإسكندريّة سنة إحدى ومائة" 101هـ/ 720م[4].

ج - هو جعثل بن هاعان أو عاهان[5] بن عمرو بن اليثوب، أبو سعيد الرّعينيّ ثمّ القتبانيّ المصريّ قاضي إفريقيّة. ووهم ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى لمّا قال: اسمه "جعيل"[6]. كان محدّثا فقيها مقرئا. بثّ في القيروان علما كثيرا لمدّة زادت عن خمسة عشر عاما روى عنه من أهل القيروان عبيد الله بن زحر، وعبد الرّحمن بن زياد، وبكر بن سوادة، وهو مرافقه في البعثة العلميّة. توفّي سنة 115هـ/ 733م[7].

ح - هو حبّان بن أبي جبلة، أبو النّضر القرشيّ. وحبّان: بالباء، ومن قال بالياء فقد وهم[8]. من تلاميذه: زياد بن أنعم، وأبو شيبة عبد الرّحمن بن يحيى الصّدفيّ، وعبد الله بن حرب اللّيثيّ، وعبيد الله بن زحر، وموسى بن عليّ بن رباح. ذكر ابن يونس في تاريخه

1) البخاري: التّاريخ الكبير، 89/2، ابن أبي حاتم: الجرح والتّعديل، 386/3، ابن حبّان: الثّقات، 76/4، المالكيّ: رياض النّفوس، 112/1، الحميدي: جذوة المقتبس، 169، الضّبّيّ: بغية الملتمس، 232، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 189/1، المزّيّ: تهذيب الكمال، 214/4، الذّهبيّ: سير أعلام النّبلاء، 250/5، ابن حجر: تهذيب التّهذيب، 424/1، العينيّ (محمود): مغاني الأخيار، 114/1، السّيوطيّ: حسن المحاضرة، /298، المقريّ: نفح الطّيب، 56/3...

2) البخاري: التّاريخ الكبير، 159/2، الدّارقطني: المؤتلف والمختلف، 48/1، ابن ماكولا: إكمال الكمال، 492/1، الذّهبي: سير أعلام النّبلاء، 413/4، ابن حجر: توضيح المشتبه، 12/12.

3) ابن عساكر: تاريخ دمشق، 26/11.

4) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، 50/2، أبو العرب: الطّبقات، 81، المزّيّ: تهذيب الكمال، 312/4، الذّهبيّ: تاريخ الإسلام، 36/7، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السّتّة، 278، ابن حجر: تهذيب التّهذيب، 446/1، الخزرجيّ: الخلاصة، 47، السّيوطيّ: حسن المحاضرة، 86/1 ...

5) هي عند ابن ماكولا بالهاء أوّلا، ثمّ بالألف فالعين فالألف. انظر الإكمال، 107/2، وكذا في الكاشف للذّهبيّ: ص292، وكنى الدّولابيّ: 581/2 وغيرها. وفي تاريخ يحيى بن معين 464/4: بالعين أوّلا. وهو المشهور أكثر بين المغاربة.

6) ابن أبي حاتم: الجرح والتّعديل، 542/2.

7) البخاريّ: الكنى، 35/9، المالكيّ: رياض النّفوس، 114/1، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 183/1، ابن حجر: تقريب التّهذيب، 128/1، وتهذيب التّهذيب، 79/2، السّيوطيّ: حسن المحاضرة، 298/1، الخزرجيّ: الخلاصة، 65، الهنديّ: المغنى في ضبط أسماء الرجال (دار الكتاب العربي1979م)، 60، و207، شلبي(هند): القراءات بإفريقيّة، 138، شوّاط: مدرسة الحديث في القيروان، 517/2..

8) ابن حبّان (محمّد): كتاب الثّقات، 181/4.

بصيغة التّمريض أنّه توفّي بإفريقيّة سنة اثنتين وعشرين ومائة. لكن جزم ابن الفرضيّ في تاريخ علماء الأندلس أنّه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الأندلس حتّى انتهى إلى حصن من حصونها يُقال له: قرقشونة[1]، فتوفّي بها. وجزم الذّهبيّ في تاريخ الإسلام بأنّه توفّي سنة 125هـ/ 743م[2].

د - حنش بن عبد الله الصّنعانيّ. بنى في القيروان مسجدا ينسب إليه، مازال قائما إلى اليوم من تلاميذه من أهل إفريقيّة: بكر بن سوادة، وخالد بن أبي عمران، عبد الرّحمن بن يزيد، وعليّ بن رباح... توفّي بالقيروان سنة 100هـ/ 718م. وذكر ابن بشكوال أنّه توفّي بسرقسطة، وأنّه دفن بباب القبلة، وأنّه قد دفن قربه ابن الحذّاء محمّد بن يحيى التّميميّ[3].

ذ - سعد بن مسعود، أبو مسعود الصّدفيّ التّجيبيّ. سكن سعد القيروان، ونشر فيها القرآن والحديث والفقه والرّقائق، فكانت مجالسه مليئة بالحِكَم والمواعظ البليغ من تلاميذه من أهل القيروان: مسلم بن يسار الإفريقي، وعبيد الله بن زحر، وعبد الرّحمن بن زياد الإفريقيّ. ذكر الدّبّاغ أنّه توفّي بالقيروان بعد أن بثّ فيها علما كثيرا. ونصّ ابن ماكولا أنّه توفّي في خلافة هشام بن عبد الملك الّذي بويع سنة خمس ومائة، وتوفّي سنة 125هـ/ 743م[4].

ر - عبد الرّحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة، أبو محمّد القرشيّ المخزوميّ. كان من فضلاء المسلمين وخيارهم علماً وديناً. كان أحد كتبة المصحف، وأحد من شهد الدّار مع عثمان وأصابه فيها جرح. وهو والد أبي بكر بن عبد الرّحمن أحد الفقهاء السّبعة في المدينة

---

1) قرقشونة: مدينة حصينة توجد اليوم بجنوب فرنسا، في الجنوب الشّرقيّ لمدينة تولوز، تعرف اليوم بمدينة كركسّون: "Carcassonne". ينظر: ياقوت: معجم البلدان، 1/ 344، والزّركليّ: الأعلام، 5/ 91.

2) أبو العرب: طبقات علماء إفريقيّة وتونس، 86، الدّارقطني: المؤتلف والمختلف، 96/1، ابن الفرضي: تاريخ علماء= =الأندلس، 146/1، المالكي: رياض النّفوس، 111/1، ياقوت: معجم البلدان، 328/4، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 1/ 187، الذّهبي: تاريخ الإسلام، 71/8، السّيوطيّ: حسن المحاضرة، 190/1، المقّريّ: نفح الطّيب، 9/3...

3) البخاريّ: التّاريخ الكبير، 99/3، العجليّ: الثّقات، 136، ابن أبي حاتم: الجرح والتّعديل، 291/3، أبو العرب: الطّبقات، 80، ابن حبّان: الثّقات، 183/4، المالكيّ: رياض النّفوس، 121/1، الحميديّ: جذوة المقتبس، ص182، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 1/ 173، ابن عساكر: تاريخ دمشق، 10/5، ابن عميرة الضّبّيّ: بغية الملتمس، 263، ابن الأثير: الكامل في التّاريخ (تحقيق الدّقّاق) 324/4، ابن كثير: البداية والنّهاية 187/9، المزّيّ: تهذيب الكمال، 342/1، الذّهبيّ: الكاشف، 195/1، ابن حجر: تهذيب التّهذيب، 57/3، الخزرجيّ: الخلاصة، 95، المقّريّ: نفح الطّيب، 278/1، 7/3..

4) ابن ماكولا: الإكمال، 97/4، وانظر أيضا: أبا العرب: طبقات علماء إفريقيّة وتونس، 87، ابن حبّان: كتاب الثّقات، 297/4، المالكيّ: رياض النّفوس، 66/1، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 171/1، ابن الأثير: أسد الغابة، 295/3، ابن حجر: الإصابة، 34/2...

المنوّرة (راهب قريش). توفّي عبد الرّحمن في خلافة معاوية[1].

ز - عبد الرّحمن بن رافع التّنوخيّ. دخل القيروان مع موسى بن نصير سنة ثمانين، فكان أوّل قاض فيها بعد بنائها، وذلك على عهد حسّان بن النّعمان[2]، ثمّ أعاده عمر بن عبد العزيز ضمن الوفد العلميّ استمر عبد الرّحمن يبثّ العلم في القيروان نحوا من ثلاثٍ وثلاثين سنة، وانتفع به خلق كثير من أهلها. من تلاميذه من أهل القيروان: عبد الرّحمن بن زياد الإفريقيّ، وعبيدالله ابن زحر الكنانيّ، وبكر بن سوادة الجذاميّ وغيرهم. توفّي سنة 113هـ/ 731م[3].

س - عبد الله بن يزيد، أبو عبد الرّحمن الحُبُلّي المعافريّ، المعروف بعبد الرّحمن المقرئ. عيّنه عمر بن عبد العزيز مع أفراد البعثة العلميّة لتعليم القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة وأحكام الدّين، عبادات ومعاملات، وكان أكثر اشتغاله بإقراء القرآن الكريم، حتّى نسب إليه، وعرف به، فقيل: أبو عبد الرّحمن المقرئ. من تلاميذه: بكر بن سوادة، وربيعة بن سيف، وعبد الرّحمن بن زياد بن أنعم الإفريقيّ، وعبد الله بن أبي جعفر، وعبد الله بن هبيرة، وعقبة بن مسلم، وعيّاش بن عبّاس القتبانيّ، وقيس بن الحجّاج، ويزيد بن عمر المعافريّ..[4]. توفّي بالقيروان سنة 100هـ/ 720م، ودفن بباب تونس حسب أبي العرب القيروانيّ والمالكيّ. أمّا ابن خلفون فذكر أنّه توفّي بقرطبة[5].

ش - عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهريّ القرشيّ. يقال: إنّ له صحبة، ولم يصحّ ذلك.

---

1) البخاريّ: التّاريخ الكبير، 272/5، العجليّ: الثّقات، 75/2، ابن أبي حاتم: الجرح والتّعديل، 224/5، ابن حبّان: الثّقات، 253/3، ابن عساكر: تاريخ دمشق، 265/34، المزّيّ: تهذيب الكمال، 39/17، ابن حجر: الإصابة،= =66/3، مخلوف: شجرة النّور الزّكيّة، 99/2...

2) المالكيّ: رياض النّفوس، 110/1.

3) ابن خيّاط: الطّبقات، 195، البخاريّ: التّاريخ الكبير، 280/5، ابن أبي حاتم: الجرح والتّعديل، 232/5، أبو العرب: الطّبقات، 20، الفسويّ: المعرفة والتّاريخ، 306/2، ابن حبّان: الثّقات، 95/5، ومشاهير علماء الأمصار، 121، الخشني: الطّبقات، 234، الخطيب البغدادي: غنية الملتمس، 263، ابن ماكولا: الإكمال، 110/1، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 198/1، المزّيّ: تهذيب الكمال، 43/17، الذّهبي: تاريخ الإسلام، 412/7، والمغني، 379/2، وميزان الاعتدال، 560/2، ابن حجر: تقريب التّهذيب، 479/1، وتهذيب التّهذيب، 168/6، السّيوطيّ: حسن المحاضرة، 260/1..

4) ابن سعد: الطّبقات الكبرى، 7/ 511، البخاريّ: التّاريخ الكبير، 226/5، ابن ماكولا: الإكمال، المزّيّ: تهذيب الكمال، 316/16، ابن حجر: تهذيب التّهذيب، 74/6.

5) أبو العرب: طبقات علماء إفريقيّة، (طبعة تونس/الجزائر)، ص 78، 99، 163، المالكيّ: رياض النّفوس، 1/ 99-101، ابن الفرضيّ: تاريخ علماء الأندلس، 250/1، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 1/ 180، الذّهبيّ: تاريخ الإسلام، 6/ 533، ابن حجر: تهذيب التّهذيب، 74/6.

شهد فتح مصر، واختط بها. كان شديد الحرص على تحفيظ القرآن، وكثرة ترداده، بل روي عنه أنّه كان ينهى عن كلّ ما يشغل عن القرآن، فكان يقول: لا تكتبوا ما يشغلكم عن القرآن. من تلاميذه: بحير بن ذاخر، وعلّي بن رباح، ابنه مرّة بن عقبة... قتله البربر بتهودة من أرض الزّاب بالجزائر سنة 63هـ/ 683م[1].

ص - عُليّ بن رباح والد موسى بن عُليّ بن رباح. عالم محدّث بارع في القراءات. دخل إفريقيّة غازيا مع موسى بن نصير سنة ستّ وثمانين، وسكن القيروان، واختطّ بها دارا ومسجدا عند باب نافع على يمين الخارج قبل أن يخرج، وطال مقامه بها في نشر القرآن والحديث[2].عمّر مائة، وتوفّي سنة 114هـ/ 732م. وقيل غير ذلك[3].

ض - أبو منصور الفارسي والد يزيد بن أبي منصور. كان مقرئا للقرآن الكريم، وكانت فيه حدّة يعتزّ بها، حتّى أنّه لمّا رُوجِعَ فيها قال: "ما أُحبّ أنّها أخطأتني". من تلاميذه: عبد الرّحمن بن زياد الإفريقيّ، ودويد بن نافع، وموسى بن وردان المصريّ، والنّعمان بن عامر المعافريّ، وعبد الله بن الوليد. سكن القيروان، وطال مقامه حتّى توفّي بها. وقد كان يعلّم أهلها، ويفقّههم ويقرئهم القرآن ويفتيهم ويصلّي بهم.[4]

ط - أبو المهاجر دينار التّهوديّ الزّابيّ[5]. أحبّه البربر، فأسلموا على يديه، وحفظوا القرآن عليه. قتل أبو المهاجر مع عقبة بن نافع في تهودة من بلاد الزّاب سنة ثلاث وستّين[6].

---

1) ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصريّ، 349/1، التّرجمة عدد 953.

2) المالكيّ: رياض النّفوس، 119/1، والدّبّاغ: معالم الإيمان، 99/1.

3) انظر أيضا: ابن سعد: الطّبقات، 512/7، "أبو" العرب: الطّبقات، 82، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص232، ابن الفرضيّ: تاريخ العلماء بالأندلس، 355/1، النّووي: تهذيب الأسماء واللّغات، 352/1، الذّهبيّ: سير أعلام النّبلاء، 101/5، ابن حجر: تهذيب التّهذيب 318/7...

4) ابن أبي حاتم الرّازيّ: الجرح والتّعديل، 441/9، المالكيّ: رياض النّفوس،185/1، ابن عبد البرّ: الاستيعاب، 181/4، ابن الأثير: أسد الغابة، 307/4، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 137/1، الذّهبيّ: تجريد أسماء الصّحابة، 218/2، ابن حجر: الإصابة، 187/4، السّيوطيّ: حسن المحاضرة، 115/1...

5) ضبطت كثير من المصادر كلمة "النّهوذي" هكذا بالنّون والذّال، والصّواب ما أثبتناه، نسبة إلى قرية تهودة من بلاد الزّاب. انظر: السّمعانيّ: الأنساب، 547/5، ابن الأثير: اللّباب في تهذيب الأنساب، 339/3، ابن ناصر الدّين: توضيح المشتبه، 182/7، ابن حجر: تبصير المنتبه، 1509/4...

6) ابن خيّاط: طبقات خليفة، 56، ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، 213، أبو العرب: المحن، 290، ابن عساكر: تاريخ دمشق، 532/40، ياقوت: معجم البلدان، 328/5، ابن عذاري: البيان المغرب، 17/1، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 52/46/1، ابن تغري بردي: النّجوم الزّاهرة، 1/ 169، مقديش: نزهة الأنظار، 71/1، النّاصريّ: الاستقصا، 136/1...

4 - هل ذُكِرت قراءة نافع في القيروان قبل دخول ابن خيرون إليها؟

أ - تذكر بعض المصادر أنّ صقلاب بن زياد الهمذانيّ القيروانيّ قرأ على نافع وأنّه أحد تلاميذه. وقد ضُبط في بعض المصادر "سقلاب"، بكسر السّين، ورجّح ابن الشّاط في "صلة السّمط" أنّه اسم أعجميّ، وذلك أنّ هذا الاسم يطلق أيضا على أرض متاخمة لأرض الخزر في أعالي جبال الرّوم، قال القزوينيّ في آثار البلاد وأخبار العباد: والصّقالبة قوم كثيرون، صهب الشّعور، حمر الألوان، ذوو صولة شديدة[1].

كان صقلاب إماما، مقرئا، محدّثا، فقيها، ثقة مأمونا، من أهل الفضل والعبادة، معروفا بالخير والاجتهاد. وقد ذكرته في طبقات القرّاء بتونس (ص57 التّرجمة عدد 40) لأنّبه على احتمال وقوع خطإ من الشّيخ مخلوف صاحب شجرة النّور الزّكيّة الّذي نصّ على أنّه قرأ على الإمام نافع المدنيّ، وأنّ من تلاميذه المقرئ المحدّث يونس بن عبد الأعلى وأبا يعقوب الأزرق. وقد ذكر غيره أنّ صقلاب بن زياد توفّي بالقيروان سنة 193هـ، ودفن بباب سلم. ولم يذكروا عن تتلمذه لنافع شيئا، ولا عن مشيخته لابن عبد الأعلى ولا للأزرق.

والّذي يبدو، أنّ الشّيخ محمّد مخلوف قد خلط ترجمة رجلين متعاصرين من المتّفق المفترق فجعلهما واحدا، الأوّل: هو صقلاب بن زياد القيروانيّ، وهو الإمام الزّاهد المحدّث الفقيه المتوفّى سنة 193هـ، والّذي كان من دُرَرِ كلامه رحمة الله تعالى عليه: "نحنُ إلى قليلٍ من الأدبِ أحوجُ منّا إلى كثيرٍ منَ العِلمِ". والثّاني: هو سقلاب بن شنينة، (بالشّين ثمّ بنونين كما ضبطه ابن ماكولا في الإكمال، وابن حجر في تبصير المنتبه) أبو سعيد المصريّ، المقرئ صاحب نافع المدنيّ، وروى عنه كتاب التّمام، وكان يقرئ في أيّام ورش، قرأ عليه يونس بن عبد الأعلى، وأبو يعقوب الأزرق وغيرهما، توفّي سنة 191هـ. وقد ترجم الذّهبيّ وابن الجزريّ لسقلاب المصريّ، ولم يشيرا إلى قيروانيّته، كما أنّ تاريخ الوفاة مختلف[2].

ب - عثمان بن سعيد "وَرْش": هو عثمان بن سعيد الملقّب بورش، أبو سعيد القيروانيّ

1) القزويني (زكريّا): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص 614.

2) أبو العرب: طبقات علماء إفريقيّة وتونس، ص62، المالكيّ: رياض النّفوس، 230/1، التّرجمة عدد 88، عياض: ترتيب المدارك، 192/2، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 256/1، التّرجمة عدد 81، مخلوف: شجرة النّور الزّكيّة، 92/1، التّرجمة عدد 81.

الأصل[1]، القبطيّ، المصريّ المقرئ. ولد سنة عشر ومائة، وقرأ القرآن وجوّده على نافع عدّة ختمات، في حدود سنة خمس وخمسين ومائة، ولقبه بورش لشدّة بياضه، وإليه انتهت رياسة الإقراء بالديّار المصريّة في زمانه. قرأ عليه أحمد بن صالح المصريّ، وداود بن أبي طيبة، وأبو يعقوب يوسف الأزرق، وعبد الصّمد بن عبد الرّحمن بن القاسم، ويونس بن عبد الأعلى الحافظ، وعامر بن سعيد الحرشيّ، وسليمان بن داود المهريّ، وسمع منه عبد الله بن وهب، وإسحاق بن حجّاج وغير واحد. اتخذ لنفسه رواية ممّا قرأ به على نافع[2]، وقد قرأ عليه ختمات قبل أن يخرج من المدينة. وكان جيّد القراءة، حسن الصّوت، إذا قرأ يهمز، ويمدّ، ويشدّد، ويبيّن الإعراب، لا يملّه سامعه. توفّي ورش بمصر سنة 197هـ/ 812م ولم يثبت لدينا أنّه دخل القيروان أو تونس.[3].

ج- **كَرْدَم بن خالد**: هو كَردم بن خالد، أبو خالد التّونسيّ، وقيل: كردم بن خليد، أبو خليد. ذكره الذّهبيّ وابن الجزريّ نقلا عن أبي عمرو الدّاني في طبقات القرّاء. قال ابن الجزريّ في "غاية النّهاية في طبقات القرّاء": "كردم بن خالد المغربي التّونسي أبو خالد وقيل: كردم بن خليد أبو خليد، قدم المدينة وعرض على نافع، وكان زاهدًا عابدًا فاضلًا". فهذا قارئ تونسيّ تلميذ نافع قرأ عليه مباشرة، ثمّ رجع إلى بلاده ينشر قراءته فيها حتّى اشتهر بها، بل عرف في الأندلس كما عرف في بغداد[4] وقد توفّي الإمام نافع المدنيّ سنة 169هـ..

روى عنه أحمد بن جبير الأنطاكيّ. قال أبو عمرو الدّاني: ولا أعلم روى عنه أحد غيره. ووصفه ابن مجاهد في "السّبعة" وابن الجزريّ في طبقاته بكونه صاحب الإمام نافع، وقال ابن مجاهد: رجل من أهل المغرب.[5].

1) ابن تغري بردي: النّجوم الزّاهرة، 155/2 – 156.
2) ابن الجزري (محمّد): غاية النّهاية في طبقات القرّاء، 224/1.
3) الذّهبي: م، ن، 91/1-93.
4) ابن الجزريّ: غاية النّهاية في طبقات القرّاء: 2/ 32.
5) ابن مجاهد: كتاب السّبعة في القراءات، ص64، الذّهبي: معرفة القرّاء الكبار، 64/1 (ترجمة الإمام نافع)، ابن الجزريّ: غاية النّهاية في طبقات القرّاء، 1/ 42، و32/2.

د - **زكريّا بن يحيى الوَقَّار:** هو أبو يحيى زكريّا بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الله الوقّار، المعروف في مصر بلقب "البرطنج"[1]. قدم إفريقيّة سنة 225هـ فرارا من محنة القول بخلق القرآن. كان من أصحاب ابن غانم، سمع من سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وإدريس الخولانيّ المصريّ، وخالد بن عبد الدّائم، ورزق الله بن عبد الرّحيم الكلاعيّ وغيرهم.

ذكرت أغلب المصادر أنّه قرأ القرآن على نافع المدنيّ، وروى عنه قراءته. وشكّك عياض في سماعه الحديث من مالك[2]. تصدّر للتّدريس بإفريقيّة، فكان مقرئا فقيها محدّثا. وذكرت مراجع ترجمته ومصادرها أنّ من تلاميذه في القراءات: أبا عبد الرّحمن عبد الله بن يزيد المكّيّ المقرئ، وأبا عبد الله محمّد بن برغوث المقرئ. فكان في القراءة ثبتا متقنا، أمّا في الحديث، فلم يكن حاله بذاك، لاشتغاله بالقرآن. وهذا شأن الكثير من القرّاء المنقطعين للقراءة، والفقهاء المنقطعين للفقه، وأهل السّير المنقطعين لسيرهم. قال ابن يونس: "كان فقيها صاحب حلقة"[3]، وقيل: كان من الصّلحاء العبّاد الفقهاء، خرج عن مصر أيّام محنة القرآن إلى طرابلس الغرب. عاش حميدا ومات فقيرا.

ودفع عنه ابن عديّ تهمة الكذب فقال: رأيت مشايخ مصر يثنون على أبي يحيى في العبادة والاجتهاد والفضل وَله حديث كثير بعضها مستقيمة"[4]. توفّي حسب أغلب المصادر سنة 254هـ/ 868م، بل حدّد ابن بلده المؤرّخ ابن يونس المصريّ تاريخ وفاته وسنّه عند الوفاة فقال: "توفّي في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين. عاش ثمانين سنة"[5]. وذكر البعض حسب القاضي عياض وضعّفه أنّ وفاته كانت في سنة 263هـ.

1) بَرْطَنْج: (بالفارسية بَرْتَك): حزام مقدم السّرج. كذا عند رينهارت دوزي في كتابه: تكملة المعاجم العربيّة، نقله إلى العربيّة وعلّق عليه محمّد سَليم النّعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقيّة، الطّبعة الأولى، من 1979 – 2000م، 1/ 294.وفي بعض المراجع: البرطيح. كما عند ابن حجر: نزهة الألباب في الألقاب، 118/1. ولقد عجبت لمحقّق الكتاب عبد العزيز السّديري عندما قام بخطإ مركّب، فكتب "البرطيح" عوض "البرطنج"، ثمّ جعلهما رجلين اثنين: الأوّل هو زَكَرِيَّا بن يحي الْوَقّار ودوّنه تحت عدد 355 في كتابه، والثّاني هو أبو يحيى المقرئ صاحب نافع، ودوّنه تحت عدد 356، وهما نفس الرّجل كما لا يخفى عليك.

2) عياض: ترتيب المدارك، 12/1.

3) ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الأولى، 1421هـ، 1/ 187.

4) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرّجال، 4/ 176.

5) ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الأولى، 1421هـ، 1/ 187.

وكأنّ الدّكتور بشّارا أراد أن يأخذ فسحة تاريخيّة لتحديد سنة وفاته فكتب في تحقيقه لكتاب تاريخ الإسلام للذّهبيّ: 254 - 260هـ[1] ولكنّ أساتذتنا في جامعة الزّيتونة كالدّكتور المحقّق محمّد الحبيب الهيلة -رحمه الله- يرفضون ذلك ويقولون هو تحكّم، والأولى ذكر التّواريخ المتعارضة، فإن كان لدينا دليل التّرجيح قوّيناه، وإلاّ اكتفينا بالأرقام التّاريخيّة المنقولة، فربّما تجد الأجيال القادمة مرجّحا ما[2].

هـ - **محمّد بن برغوث:** هو محمّد بن برغوث، أبو عبد الله القرويّ، المقرئ المتصدّر بجامع عقبة بن نافع بالقيروان. أخذ القراءة عرضا عن أبي يحيى الوقّار المتوفّى سنة 254هـ، وذكرت مصادر ترجمته أنّه روى القراءة عن الإمام نافع بن أبي نعيم (ت169هـ)، ولعلّ الصّواب أن يُقال: روى قراءة نافع[3]، كما اشتهر عند أهل القيروان بإتقان قراءات أخرى غير قراءة نافع. وأخذ الحديث والفقه على أسد بن الفرات(ت213هـ). من أشهر من روى عنه القراءة المؤرّخ الفقيه أبو تميم محمّد بن أحمد أبو العرب التّميميّ القيروانيّ المتوفّى

1) بشّار (عوّاد معروف): تحقيق تاريخ الإسلام للذّهبيّ، 6/ 84.

2) ابن أبي حاتم: الجرح والتّعديل، 601/3، أبو العرب: الطّبقات، 182، ابن حبّان: الثّقات، 253/8، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، 187/1، عياض: ترتيب المدارك، 335/1، الذّهبيّ: المغني في الضّعفاء، 240/1، وميزان الاعتدال، 113/3، وتاريخ الإسلام، 141/19 - 142، ابن حجر: لسان الميزان، 485/2، ابن فرحون: الدّيباج المذهب، ص120، السّيوطيّ: حسن المحاضرة، 1/ 448. (ترتيب المدارك 2/ 578)؟

/ [4] انظر عن (زكريا بن يحيى المصري) في: الضعفاء الكبير للعقيلي 2/ 87، 88 رقم 541 وفيه «الوقّاد» بتشديد القاف، ودال، وهو وهم، والجرح والتعديل 3/ 606 رقم 2716، والثقات لابن حبّان 8/ 253، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي 4/ 176، وطبقات الفقهاء للشيرازي 151، وترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 578، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي 1/ 296 رقم 1280، والمغني في الضعفاء 1/ 240 رقم 2204، وميزان الاعتدال 2/ 77، 8، رقم 2892، والكشف الحثيث 184 رقم 295، ولسان الميزان 2/ 485، 486 رقم 1950، وتنزيه الشريعة 1/ 61. وكان مولده سنة أربع وسبعين ومائة ومات سنة أربع وخمسين ومائتين كذا في الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لأبي نصر عليّ ابن ماكولا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1411هـ/ 1990م، 7/ 304. -

3) الثّابت أنّ ابن برغوث أخذ قراءة نافع عن زكريّاء الوقّار. أمّا أن يكون قرأ على نافع مباشرة فهذا ممّا يمكن أن يكون مصدر شكّ. لأنّ ابن برغوث توفّي عام 272هـ، بينما توفّي نافع عام 169هـ، أي يجب أن لا يقلّ عمر ابن برغوث عند وفاته عن (72 + 31 = 103) من الأعوام، نضيف إلى ذلك سنّ الطّلب ليعقل القراءات ويتقنها على شيخه أي من خمس إلى عشر سنوات أخرى (أي يكون عمره يوم وفاته ما بين 108 و113 سنة على الأقل). فهل من السّهل تصديق ذلك؟ ولو كان ذلك كذلك لكان خبرا حريّا بالتّنويه في كتب التّراجم، وما وسع أحد السّكوت عن مثله. لذا نقول: الصّواب أن يقال: قرأ لنافع وأقرأ له. أمّا قرأ عليه أو روى عنه فبعيد. والله أعلم.

سنة 333هـ، وذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك أنّه قرأ عليه "السّبع إفرادا"[1]، كما قرأ عليه غير أبي العرب[2]...

وقد أصدر إليه قاضي القيروان أبو العبّاس عبد الله بن طالب أمرا بأن لا يقرئ النّاس في جامع القيروان إلاّ بقراءة نافع المدنيّ[3]. توفي ابن برغوث سنة 272هـ/ 885م[4].

و - **عبد الله بن يزيد المقرئ:** هو عبد الله بن يزيد، أبو عبد الرّحمن المكّيّ، المقرئ العدويّ، المعروف بالقصير، مولى آل عمر بن الخطّاب. أصله من البصرة، سكن مكّة. تتلمذ في القراءة على نافع المدنيّ (ت169هـ). من مشايخه في الحديث حمّاد بن زيد، وحمّاد بن سلمة، وسفيان الثّوريّ، وشعبة بن الحجّاج، وعبد الله بن عون، وعبد الله بن لهيعة، واللّيث ابن سعد، وموسى ابن أيّوب الغافقيّ...

من تلاميذه: أحمد بن حنبل (ت241هـ)، وإسحاق بن راهويه (ت238هـ)، وأبو خيثمة زهير بن حرب النّسائيّ، وعبد الملك بن حبيب السّلميّ، وعليّ بن المدينيّ، وعمرو

---

1) عياض: ترتيب المدارك، 5/ 326. وزاد في شجرة النّور الزّكيّة لمحمّد مخلوف: (1/ 125) "مولده سنة 250 هـ وتوفي في ذي القعدة سنة 333هـ ودفن بباب سلم من القيروان". وفي الأعلام لخير الدّين الزّركليّ (5/ 309): ولد سنة 251هـ/ 865م. وفي تراجم المؤلّفين التّونسيّين لمحمّد محفوظ: (3/ 359): "ولد ما بين 250 و260هـ". فلعلّ القاضي يعني أنّه بدأ إفراد السّبع عليه، أو لعلّه تقدّم في ذلك بشوط هامّ، لأنّ هذه السنّ الّتي ذكرها لا تسمح عادةً بإفراد القراءات السّبع كلّها.

2) من غرائب ما في بطون الكتب الّتي بين أيدينا أن نجد ابن الجزريّ في غاية النّهاية: 2/ 409 يترجم لقارئ اسمه "أبو يحيى البطيح وأصرّ على شكلها بالحروف فقال: بفتح الموحّدة وياء آخر الحروف وحاء مهملة، وهو مجهول، ذكر أنّه روى القراءة عن محمّد بن برغوث القرويّ". والخلل هنا مضاعف، لأنّه ليس "البطيح" وإنّما هو "البرطنج" وأبو يحيى البرطنج ليس مجهولا، وإنّما هو زكريّاء الوقّار الّذي ترجم له ابن الجزريّ نفسه في موضع آخر من كتابه. ثمّ وجدتّ أنّ ابن الجزريّ هنا مجرّد ناقل لكلام أبي عمرو الدّاني وردّ عليه عياض في مداركه فقال: (4/ 37): "ويحيى هذا المجهول عند أبي عمرو، هو أبو يحيى الوقّار. ولم يذكر أبو عمرو الوقّار جملة. وأراه لم يبلغه خبره. أو لم يعلم أن البرطنج هو الوقّار".

3) أرى من الضّروريّ أن أنبّه القارئ الكريم إلى مراجعة ترجمة أبي يحيى زكريّاء الوقار، فيما يتعلّق بانتشار قراءة نافع بإفريقيّة.

4) المالكيّ: رياض النّفوس (طبعة مصر، 1951م)، 378/1، ابن الجزري: غاية النّهاية، 104/2.

بن عليّ الفلاّس (ت249هـ)، وابنه محمّد بن عبد االله بن يزيد المقرئ[1]، ومحمّد بن يحيى الذّهليّ، ونصر بن عليّ الجهضميّ، وهارون بن عبد الله الحمّال...[2]

سُمع يقول: أنا ما بين التّسعين إلى المئة، وأقرأتُ القرآن بالبصرة ستّا وثلاثين سنة، وها هنا بمكّة خمسا وثلاثين سنة.

ذكر أبو العرب التّميميّ القيروانيّ أنّ عبد الله بن يزيد المقرئ قدم القيروان سنة ستّ وخمسين ومائة[3] وأخذ عن عبد الرّحمن بن زياد بن أنعم الشّعبانيّ المعافريّ كما في التّاريخ الأوسط للبخاريّ[4]. قال ابن الجزريّ: "إمام كبير في الحديث ومشهور في القراءات لقَّن القرآن سبعين سنة، ثقة، وله اختيار في القراءة، كان بعد أبي عمرو في البصرة يقرئ"[5]. قال البخاريّ: مات بمكّة سنة 212هـ أو 213م / 827م أو 828م[6].

هذا هو القدر الّذي يمكن أن نثق به من ترجمة أبي عبد الرّحمن عبد الله بن يزيد نزيل القيروان. فما علاقته بزكريّا الوقّار القيروانيّ

الّذي ذكرته بعض الكتب المختصّة في التّراجم كترتيب المدارك للقاضي عياض أنّ أبا عبد الرّحمن المتوفّى سنة 212هـ أو 213هـ قد أخذ قراءة نافع المتوفّى سنة 169هـ على زكريّاء الوقّار المتوفّى سنة 254هـ. وكلام القاضي يضعنا أمام إشكالات كثيرة تحتاج إلى حلول. فالثّابت أنّ أبا عبد الرّحمن قرأ على نافع، وتاريخ وفاة أبي عبد الرّحمن ثابتة، وعمره وقتها ما بين التّسعين والمائة، في حين أنّ عمر الوقّار وقتها في حدود الثّلاثين سنة، أو أقلّ من ذلك أو أكثر بقليل. فمن الأولى أن يكون قد أخذ القراءة عن الآخر؟ الواقع أنّه من

1) قال عنه ابن الجزري: 3188- "ج" محمد بن أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد أبو يحيى المكي، ثقة، أخذ القراءة عرضا عن "ج" أبيه وروى عنه اختياره، قرأ عليه "ج" محمد بن عبد الرحيم الأصبهاني وقال: قرأت عليه ختمة بمكة سنة ثلاث وخمسين ومائتين في المسجد الحرام، فأمر جماعة أن يقرءوا علي فكنت أقرئهم في المسجد الحرام بحضرته.
2) المزّيّ: تهذيب الكمال، 320/16 ـ 323.
3) أبو العرب: طبقات علماء إفريقيّة، دار الكتّاب اللّبنانيّ، ص 81.
4) البخاري: التّاريخ الأوسط، 2/ 122.
5) ابن الجزريّ: غاية النّهاية في طبقات القرّاء، 1/ 463 – 464.
6) البخاريّ: التّاريخ الصّغير، 297/2، التّاريخ الكبير، 228/5، ابن أبي حاتم: الجرح والتّعديل، 201/5، أبو العرب: الطّبقات، 163، ابن حبّان: الثّقات، 342/8، المزّيّ: تهذيب الكمال، 16/ 318، الذّهبيّ: تذكرة الحفّاظ (العلميّة)، 269/1، ابن حجر: تهذيب التّهذيب، 83/6 – 84، سعد: جمهرة تراجم الفقهاء المالكيّة، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطّبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م، 1/ 487 – 488.

الصّعب التّسليم بأنّ أبا عبد الرّحمن يأخذ القراءة عن نافع مباشرة ثمّ يأخذ تلك القراءة عينها عمّن يحيل العقل والعادة أن يكون قد قرأ على صاحبها.

ولا يستقيم ذلك لا من حيث العمر، إذ توفّي الوقّار سنة 254 ابن ثمان

ز - **محمّد بن سحنون**: هو أبو عبد الله محمّد بن عبد السّلام بن سعيد التّنوخيّ، ابن الإمام سحنون. حفظ القرآن الكريم على مؤدّب خاصّ. وكانت له عناية خاصّة بقراءة نافع تأثّرا بوالده. الّذي أخذ عنه فقه مالك والحديث وعلومه، وكان يتعهّده بالنّصيحة. ومعلوم أنّ الإمام سحنون نقل عن مالك أنّ قراءة أهل المدينة سنّة، فسئل: قراءة نافع؟ قال: نعم. لذلك دوّن ابن سحنون في كتابه "آداب المعلّمين" أنّ المعلّم "يلزمه أن يعلّمهم ما علم من القراءة الحسنة وهو مقرأ نافع"، ولكنّ ذلك لم يمنع ابن سحنون من القراءة لغير نافع، كما لم يمنع المعلّم من تلقين الأطفال قراءة غير نافع، فقال: "ولا بأس إن أقرأهم لغيره وكلّ ما قرأ به أصحاب رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-"(1). أمّا شيوخه وتلاميذه وحاله في الحديث فقد تمّ بيانهم في كتاب طبقات المحدّثين بالقيروان(2).

عاد إلى القيروان، وجلس للطّلبة في حياة والده، وحدّث في مجلسه، فإذا جاء الوالد سمع الابن مع الطّلبة، وكانا كثيرا ما يتناظران مناظرة العلماء النّقّاد. ولم يكن سحنون يبخل على ابنه بالنّصيحة، فقد دخل عليه يوما فوجده يؤلّف كتابا في تحريم المسكر، ردّا على مذهب من يجيز شرب النّبيذ، فقال له: "يا بنيّ إنّك تَرُدُّ على أهل العراق، ولهم لطافةُ أذهان، وألسنةٌ حدادٌ، فإيّاك أن يسبقك قلمك لما تَعتذر منه". قال المالكيّ: أدرك من جميع العلوم ما لم يدركه غيره من أهل عصره"، وقال الذّهبي: كان محدّثا بصيرا بالآثار، واسع العلم، متحرّيا، متقنا، علاّمة، كبير القدر(3). كما عرف بالخروج إلى قصور الرّباط لتحقيق ثلاثة أهداف: عبادة الله، وتعليم أحكام الدّين وحراسة المسلمين من الأعداء

---

1) ابن سحنون (محمّد): آداب المعلّمين، ص 102 – 103.

2) الشّوّالي (عزّوز) وروشو (هادي): طبقات االمحدّثين بالقيروان من الفتح الإسلاميّ إلى منتصف القرن الخامس الهجريّ، ص243 - 244، وانظر تفصيل ترجمته: أبو العرب: الطّبقات، ص100، 158، 168، والمحن، ص472، الخشنيّ: الطّبقات، ص129، 227، الشّيرازيّ: طبقات الفقهاء، ص157، الذّهبيّ: سير أعلام النّبلاء، 60/13، ابن العماد: شذرات الذّهب، 150/2البغدادي: هديّة العارفين، 17/6، الزّركليّ: الأعلام، 76/7، كحّالة: معجم المؤلّفين، 169/10، محفوظ: تراجم المؤلّفين التّونسيّين، 19/3..

3) المالكيّ: رياض النّفوس، 443/1، عياض: ترتيب المدارك، 104/3، الدّبّاغ: معالم الإيمان، 122/2، ابن فرحون: الدّيباج المذهب، ص234، ابن حجر: لسان الميزان، 259/5، مخلوف: شجرة النّور الزّكيّة، 1/ 105، التّرجمة عدد 125...

المتربّصين.

توفّي بالسّاحل سنة 256هـ/ 870م، ودفن في القيروان[1]. كما ساهم في إثراء المكتبة الإسلاميّة، فلم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، وقد بلغت مؤلّفاته مائتي كتاب في الحديث، والرّجال، والتّاريخ، والسّير، والمناظرة، والفقه، وعلوم القرآن...

من مؤلّفاته: آداب القضاة. آداب المعلّمين واسمها حسب مخطوط الأصل: "تعليم القرآن الشّريف"[2]. أحكام القرآن. الحجّة على النّصارى. رسالة في آداب المتناظرين. رسالة في الرّدّ على أهل البدع. رسالة في السّنّة. رسالة فيمن سبّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-. شرح موطّإ مالك. كتاب التّاريخ. كتاب الجامع (فيه أصناف العلوم الشّرعيّة). كتاب السّير. كتاب الطّبقات. كتاب غريب الحديث. المسند في الحديث...[3].

5 - ابن خيرون ودخوله بقراءة نافع إلى إفريقيّة:

أ - من هو ابن خيرون؟: هو أبو عبد الله محمّد بن عمر بن خيرون، وهو والد المؤرّخ أبي جعفر ابن خيرون[4] المعافريّ الأندلسيّ، ثمّ القيروانيّ، شيخ القرّاء بالقيروان، وله مسجد فيها منسوب إليه، قائم إلى اليوم يسمّى "مسجد الأبواب الثّلاثة" عليه كتابة بالخطّ الكوفيّ منقوشة في الحجارة[5]. أخذ القراءة عرضا عن أبي بكر بن سيف المختصّ في رواية ورش، وإسماعيل النّحّاس الّذي أخذ القراءة عن أربعة من تلاميذ ورش (هم: الأزرق، وبشّار بن سنان، وعبد الصّمد بن عبد الرّحمن، وعبد القويّ بن كمونة)، ومحمّد بن سعيد الأنماطيّ تلميذ الأزرق، وعبيد بن محمّد البزّاز المعروف برجّال. كان إماما في قراءة نافع، ثقة مأمونا. كما سمع الحديث من عيسى بن مسكين. روى القراءة عنه ابناه: أبو جعفر محمّد وأبو الحسن

1) الذّهبيّ: تاريخ الإسلام، 163/20، والعبر في خبر من غبر، 381/1..
2) الكعبي(المنجي): موسوعة القيروان، ص85، ومنه نسخة في المكتبة الوطنيّة بتونس، رقمها 5/8787.
3) البغدادي: هديّة العارفين أسماء المؤلّفين، 17/6، ابن خير: فهرسة ابن خير، ص254، 301، 302، الزّركليّ: الأعلام، 76/7، سيزكين: تاريخ التّراث العربيّ، 156/3/1، شوّاط: مدرسة الحديث في القيروان، 705/2 ـ 713.
4) هو أبو جعفر محمّد بن محمّد بن عمر بن خيرون الأندلسيّ. مؤلّف كتاب "نسب الشّيعة وأخبارهم". ينظر كتاب رياض النّفوس للمالكيّ 2/ 52، والحميديّ: جذوة المقتبس، 54، والضّبّي: بغية الملتمس، ص74. وقد خلطت أغلب المصادر ترجمة الولد بالوالد، وجعلوهما واحدا، والتّفرقة بينهما ضروريّة. فالابن قتلوه رفسا بالأقدام سنة 301هـ، بينما تأخّرت وفاة الوالد إلى ما بعد هذا التّاريخ. وممّن فرّق بين الرّجلين: ابن عميرة الضّبّي في بغية الملتمس: ص 74 و113، وابن الأبّار في التّكملة1/ 288. واستدرك محفوظ على نفسه175/5.
5) يسمّى اليوم باللّهجة العامّية التّونسيّة في القيروان: جامع ثلاث بيبان. ينظر: الكعبي: موسوعة القيروان، ص77-78.

عليّ، كما روى عنه أبو جعفر أحمد بن أبي بكر، وأبو بكر الهوّاريّ المعلّم، وعبد الحكم بن إبراهيم القرويّ ثمّ البجائيّ، وعليّ بن محمّد البجائيّ، ويحيى بن خلفون المؤدّب الهوّاريّ.

انتقل إلى سوسة فأوطنها، ونفع النّاس بعلمه، حتّى توفّي فيها يوم الاثنين في نصف شعبان من سنة 306هـ/ 918م. من آثاره: الابتداء والتّمام، وهو كتاب في فنّ القراءات. الألفات واللاّمات، وهو كتاب في رسم المصحف. كتاب في الأداء، وهو كتاب في رواية ورش عن نافع... أمّا كتاب "نسب الشّيعة وأخبارهم" فهو لابنه أبي جعفر[1].

ب- عبارات المؤرّخين في علاقة قراءة أهل القيروان بابن خيرون:

تذكر المصادر الّتي بين أيدينا أنّ أبا الوليد عبد الله بن محمّد المعروف بابن الفرضيّ القرطبيّ المتوفّى سنة 403هـ هو أوّل من تحدّث عن هذا الموضوع فقال في كتابه تاريخ علماء الأندلس: "قدم بقراءة نافع على أهل إفريقيّة، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلاّ خواصّ، حتّى قدم ابن خيرون فاجتمع إليه النّاس، ورحل إليه أهل القيروان من الآفاق"[2].

وتناقلت المصادر المتأخّرة بعد ابن الفرضيّ هذه المعلومة، فقد نقل غير واحد عن عتيق بن خلف القيروانيّ أنّه قال في كتاب أطلق عليه اسم "الافتخار بمناقب شيوخ القيروان وما تعلق بهم من تاريخ فقهاء الأمصار" متحدّثا عن ابن خيرون: "أوّل من قدم بتحقيق قراءة نافع... ولم يكن يقرأ أهل افريقيّة بحرف نافع إلاّ خواصّ، حتّى قدم ابن خيرون فاجتمع عليه النّاس"[3]. وقال ابن الأبّار المتوفّى سنة 658هـ في التّكملة: "قَدم القيروان واستوطنها وأقرأ بها في مسجده المنسوب إليه بالزّياديّة... أوّل من قَدم بتحقيق قراءة

1) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، 112/2، المالكي: رياض النّفوس، ابن عميرة (الضّبّي): بغية الملتمس، ص102، ابن الأبّار: الحلّة السّيراء، 95/1، الذّهبيّ: معرفة القرّاء الكبار، 227/1، ابن الجزري: غاية النّهاية، 217/2، السّلاوي: الاستقصاء، 62/1، مخلوف: شجرة النّور الزّكيّة، 121/1، التّرجمة عدد 184، كحالة: معجم المؤلّفين، 11/ 214، محفوظ: تراجم المؤلّفين التّونسيّين 264/2، وقد وهم كالكثير من المعتنين بالتّراجم، فخلط ترجمة الوالد بترجمة الابن، وانظر: شلبي (هند): القراءات بإفريقيّة، ص284، الكعبي: موسوعة القيروان، ص 77.

2) ابن الفرضي (أبو الوليد): تاريخ علماء الأندلس، السّيد عزّت العطّار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة الثّانية، 1408هـ/ 1988م، 2/ 112.

3) محفوظ: تراجم المؤلّفين التّونسيّين، 3/ 2302.

نافع"[1]. وقال الذّهبي المتوفّى سنة 748هـ في كتابه القرّاء الكبار: ولم يكن يقرأ أهل إفريقيّة بحرف نافع، إلاّ خواصّ، حتّى قدم ابن خيرون، فاجتمع عليه النّاس"[2]. وقال ابن الجزريّ المتوفّى سنة 833هـ في غاية النّهاية: قلت: وهو الّذي قدم بقراءة نافع على تلك البلاد، فإنّه كان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ لنافع إلاّ خواصّ النّاس، فلمّا قدم ابن خيرون القيروان اجتمع عليه النّاس ورحل إليه القرّاء من الآفاق"[3]. ونقلها محمّد محفوظ أيضا عن ابن الفرضي، ثمّ قال: "ومن ذلك التّاريخ أصبحت قراءة نافع هي الشّائعة عند أهل إفريقيّة إلى الآن"[4].

مناقشة هذا الرّأي تتطلّب جهودا مضاعفة؛ لأنّ الكلام المتقدّم عليه ملاحظات مهمّة لا بدّ أن تؤخذ بعين الاعتبار:

الملاحظة الأولى: أنّ صحّة الرّأي من عدمه ليست رهينة تناقلها في الكتب. ولذلك فإنّ ورود هذا الرّأي عند ابن الفرضيّ ومن نقل عنه كعتيق وابن الأبّار والذّهبيّ وابن الجزريّ لا تعني بالضّرورة أنّها مسلّمة تاريخيّة، وإنّما هي معلومة تحتمل الصّواب والخطأ.

الملاحظة الثّانية: أنّ هذا الرّأي لم يصدر عن أهل القيروان الأصليّين، وإنّما صدر أوّل مرّة عن ابن الأندلس وتناقله المؤرّخون بعده. فإن قال قائل: إنّ عتيقا قيروانيّ، قلنا: بل هو نزيل القيروان كما هو مدوّن في ترجمته. والخطأ على الغرباء وارد، بل احتمال الخطإ مقدّم على احتمال الصّواب.

الملاحظة الثّالثة: أنّ أبا عمرو الدّاني ابن الأندلس لم يسمع بانتشار قراءة نافع بالقيروان عن طريق أحد أشهر كبار قرّائها وصلحائها وهو أبو يحيى زكريّاء الوقّار، فلمّا وصل إلى ترجمته قال عنه: مجهول. واعتنى القاضي عياض بالرّدّ عليه في ترتيب المدارك، ولكنّ ابن الجزريّ لم يطّلع على ردّ عياض، فسار في طبقاته على نهج الدّاني فجهّل أبا يحيى.

الملاحظة الرّابعة: أنّ أهل القيروان على مذهب الإمام مالك، بل يتعصّب علماؤها أحيانا

---

1) ابن الأبار (محمّد) التّكملة لكتاب الصّلة تحقيق عبد السّلام الهراس، دار الفكر للطّباعة، لبنان، 1415هـ/ 1995م، 1/ 288 - 289.
2) الذّهبي: معرفة القرّاء الكبار، ص161.
3) ابن الجزريّ: غاية النّهاية في طبقات القرّاء، 2/ 217.ونقلها عنه معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محيسن، دار الجيل، بيروت، الطّبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م، 1/ 228.
4) محفوظ: تراجم المؤلّفين التّونسيّين، 2/ 264.

للمذهب المالكيّ. وقد ثبت لديهم النّقل الصّحيح عن مالك أنّ قراءة أهل المدينة سنّة، فسئل: قراءة نافع؟ قال: نعم[1]. وهذا يجعل من مالكيّة إفريقيّة على مذهب نافع في القراءة. علما وأنّ مالكا نفسَه قد تتلمذ في القراءة على نافع المدنيّ أخذ عنه القراءة عرضا حسبما ورد في طبقات ابن الجزريّ[2]. بل لم يكونوا ينتظرون مجيء ابن خيرون بقراءة الإمام نافع، قارئ المدينة المنوّرة، وأستاذ إمامهم.

الملاحظة الخامسة: أنّ استقراء هذه التّواريخ يدلّ على أنّ قراءة نافع دخلت القيروان سنة 156 للهجرة، والّذي أتى بها من المدينة إلى إفريقيّة هو عبد الله بن يزيد المعروف بالقصير، وهو تلميذ نافع دون واسطة وقد أقرأ القرآن مدّة سبعين سنة. بينما دخل ابن خيرون القيروان عام 252 أو 255 أو 256هـ حسب اختلاف المصادر، ولكنّ الفارق الزّمني بين ابن يزيد وابن خيرون لا يسمح بتأويل، إنّه نحو قرن كامل.

الملاحظة السّادسة: أنّ عبارة ابن الفرضيّ لا تنفي وجود قراءة نافع في القيروان قبل ابن خيرون، وإنّما تفيد أنّها كانت قراءة خواصّ النّاس، حيث قال: "قَدِم بقراءة نافع على أهل إفريقيّة، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلاّ خواصّ"[3]. لكنّ بعض النّاقلين لكلام ابن الفرضيّ كأنّهم لم ينتبهوا إلى هذا الاستثناء، أو لم يولوه ما يستحقّ من قيمة، ومن هؤلاء ابن الجزريّ في طبقات القرّاء حيث قال ما نصّه: "وهو الّذي قدم بقراءة نافع على تلك البلاد"[4]. نعم قد ذكر ابن الجزريّ بعد ذلك ما ذكره ابن الفرضيّ وغيره من أنّه لم يكن يقرأ لنافع إلاّ خواص النّاس، ولكنّ عبارة ابن الجزريّ توهم ما لا توهمه عبارة ابن الفرضيّ.

الملاحظة السّابعة: ما المقصود من عبارة: "خواص" أو "خواصّ النّاس" هذه، والّتي جاءت على لسان ابن الفرضيّ وتناقلها المؤرّخون بعده؟ هل المقصود منها أمير القيروان وحاشيته؟ أم أراد بذلك كبار فقهاء القيروان فقط؟ أم شيوخ القيروان وطلبة العلم؟ إنّ اختيار أيّ جواب من هذه الأجوبة الثّلاثة أو غيرها من الأجوبة يحتاج إلى دليل. لأنّ الثّابت لدينا أنّ الإمام سحنون المتوفّى سنة 240هـ / 854م كان يُلزم معلّمي القرآن والطّلبة إلى الاعتناء

1) أبو شامة (شهاب الدّين): إبراز المعاني، ص6.
2) ابن الجزريّ (محمّد): غاية النّهاية في طبقات القرّاء، 2/ 36.
3) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، 2/ 112.
4) ابن الجزريّ: غاية النّهاية في طبقات القرّاء، 2/ 217.

بقراءة نافع والاكتفاء بها في بداية الدّراسة. وقد سجّل ذلك عنه ابنه محمّد (المتوفّى سنة 256هـ / 870م) في كتابه "آداب المعلّمين" حيث نصّ على ضرورة تقيّد المعلّم بقراءة نافع، فقال متحدّثا عن المعلّم: "ويلزمه أن يعلّمهم ما علم من القراءة الحسنة، وهو مقرأ نافع"[1]. والكتاب في الواقع نقل لآراء والده الإمام سحنون المالكيّ القيروانيّ. وبناء عليه فعبارة "خواصّ" تبقى رهن الإثبات، بل الأدلّة لا تساعد على ذلك.

الملاحظة الثّامنة: أنّ القاضي عياض ذكر في ترتيب المدارك أنّ قاضي القيروان أبا العبّاس عبد الله بن طالب - وهو تلميذ سحنون، وتلميذ تلاميذ نافع، مثل: يونس بن عبد الأعلى، وسقلاب بن شيبة، ومعلّى بن دحية، وهو أيضا صاحب كتاب: الرّدّ على من خالف مالكا - قد أصدر أمرا قضائيّا للمقرئ محمّدَ بن برغوث أن لا يُقرئ النّاس بجامع القيروان إلاّ بحرف نافع[2]. وقد تولّى ابن طالب القضاء مرّتين: الأولى من سنة 257هـ إلى سنة 259هـ، والثّانية من سنة 267هـ إلى سنة 275هـ. لذا نستبعد جدّا أن يكون محمّد بن عمر بن خيرون الأندلسيّ ثمّ القيروانيّ المتوفّى سنة 306هـ هو من قدم بقراءة نافع إلى إفريقيّة.

وهذا يصل بنا إلى نتيجة هامّة، وهي أنّ إفريقيّة لم تنتظر قدوم ابن خيرون لتعرف قراءة نافع، كما اشتهر عند أغلب أهل الاختصاص، إنّما وجدت هذه القراءة في عصر مبكّر، بل وفي حياة الإمام نافع نفسه، ما دام عبد الرّحمن المقرئ أحد تلاميذه الثّلاثة المذكورين، وقد قدم إفريقيّة سنة 156هـ. أي والإمام نافع ما زال على قيد الحياة يقرئ النّاس في المدينة المنوّرة حيث كانت وفاته سنة 169هـ/ 785م.

وقد حاولت أستاذتنا هند شلبي في كتابها القراءات بإفريقيّة أن توفّق بين هذه الآراء المختلفة، بفهم كلمة "الخواصّ" الّتي أطلقها ابن الفرضيّ على معنى عدم انتشارها، ولكنّها لم تنف أيضا أنّه ربّما أراد بالخواصّ العلماء الّذين تسنّى لهم الوقوف على تلك القراءة، إمّا بوسائلهم الخاصّة، أو بالجلوس إلى من ذكر من تلاميذ نافع[3].

خاتمة:

هذه إحدى الصّفحات التّاريخيّة النّاصعة لسلف أمّة وَعَتْ دورها في الحياة، وتركت

1) ابن سحنون: آداب المعلّمين، (طبعة تونس 1972م)، ص102.

2) عياض: ترتيب المدارك، 4/ 313.

3) شلبي (هند): القراءات بإفريقيّة، ص223.

الخلافات المفرّقة والأحقاد التّاريخيّة المخذّلة، ووهبت حياتها في سبيل نشر كتاب الله والحرص على تعليمه للأجيال اللاّحقة، حتّى تُواصل تلك المهمّة الحضاريّة الّتي أوكلها الله تعالى إليها، وهي إسعاد البشريّة وضمان نجاتها في الدّنيا والآخرة.

وما خاب قوم سعوا إلى مثل هذه الغاية النّبيلة، إرضاء لله تعالى مخلصين له الدّين.

والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.